هل يتمكن جيمس بيكر من عقد صفقة بين واشنطن وطهران بشأن العراق؟

30-7-2003

أمريكا لا تستطيع مراودة شيعة العراق بدون عقد صفقة مع إيران. وإن مساومة إيرانية أمريكية بشأن العراق يمكن أن تدفع بإيران إلى طرف إقليمي فاعل تحت رعاية الولايات المتحدة، وهكذا يعدل المشهد الجغرافي السياسي للخليج و"الشرق الأوسط".

مواد ذات علاقة

شيعة العراق : الإنقسام وتوظيف أمريكا للتأثير الإيراني

ذكرت التقارير أن الرئيس الأمريكي جورج بوش اتصل بوزير الخارجية السابق جيمس بيكر للإستعانة بخدماته في العراق للعمل بجانب الحاكم المدني العراقي بول بريمير، ويعتبر هذا التغيير الثاني خلال ثلاثة أشهر. إذ من المرجح أن واشنطن طلبت مساعدة إيران لمراودة الشيعية في العراق، وهو ما يتطلب بعض المفاوضات القاسية، ويُنظر إلى بيكر على أنه من كبار المفاوضين السياسيين الأمريكيين، ومن المتوقع أن يُستعمل للمساعدة على عقد اتفاقية مع طهران بهذا الخصوص. وإذا حصل الإتفاق، فإنه يمكن أن يقذف بإيران من حالة العزلة إلى موقع إقليمي مهيمن.

وتتطلع واشنطن إلى رجل دولة كبير بإمكانه المساعدة لتطبيع الوضع في العراق من خلال عقد صفقة مع طهران. الإحتلال الأمريكي في العراق يواجه هجمات يومية من حركة مقاومة سنية عنيفة. وبما أن استعمال فائض القوة في التعامل مع المقاومة خيار مستنزف ومكلف ويثير استياء محليا ودوليا، فإن أمام واشنطن بديل واحد : إقامة تحالف يضم الشيعية في العراق لمواجهة الحركة الفدائية وللمساعدة على منع انتقال شعور الشيعة المعادي للأمريكان إلى مقاومة مسلحة. إلا أن أمريكا لا تستطيع مراودة شيعة العراق بدون انغماس إيران. وفي النهاية، فإن مساومة إيرانية أمريكية بشأن العراق يمكن أن تدفع بإيران إلى طرف إقليمي فاعل تحت رعاية الولايات المتحدة، وهكذا يعدل المشهد الجغرافي السياسي للخليج و"الشرق الأوسط".

حتى الآن، الولايات المتحدة لا تبدو قادرة على إخماد المقاومة المسلحة في العراق، والتدفق المتزايد للإصابات الأمريكية يمكن أن يعيق جهود "إعادة البناء". واقترن هذا بالخلاف حول ادعاءات ما قبل لبحرب بشأن أسلحة الدمار الشامل العراقية وغياب استراتيجية واضحة للتعامل مع المقاومة العراقية، وتحاول واشنطن بشدة إيجاد حل للمشاكل التي تواجهها في فرض الإستقرار في العراق، في الوقت الذي يقترب فيه موسم حملة الإنتخابات الرئاسية.

وفي الواقع السياسي ليس هناك أعداء أو أصدقاء دائمون. إذ أن أمريكا لها تأريخ طويل في صياغة التحالفات مع النظراء غير المتوقعين لحل المشاكل الإستراتيجية، ومن ضمن ذلك ستالين، ماو والمجاهدين الأفغان خلال فترة الثمانينات. وستجد الولايات المتحدة صعوبة لـ"إعادة بناء العراق" بدون نوع مساومة مع طهران. وتواجه إيران صعوبات تتعلق ببرنامجها النووي، معارضة وادعاءات محلية بأنها تأوي أعضاء القاعدة والمنظمات الفدائية الأخرى. وكنتيجة للحرب على ما تسميه أمريكا بـ"الإرهاب"، تُحاط إيران اليوم بالقوات العسكرية الأمريكية، وطهران تبحث عن مخرج لموقعها المزعج. إيران تقليديا كانت حذرة من التهديدات لأمنها من الشمال والجنوب، لكنها ضمنت حدودها الغربية بعد انهيار نظام بغداد بشكل لم يسبق له مثيل. إذا استطاعت طهران كسب مجال نفوذ في العراق، يمكن أن يساعد على عزله من التهديدات الأمنية المحتملة.

إنّ التحديات التي تواجه كلا من واشنطن وطهران أتاحت فرصة سانحة لكليهما، إذ أن كلا منهما "يتفهم" معضلات الآخر. وبينما تريد أمريكا ضبط وضعها مع الشيعية في العراق عبر التأثير الإيراني. تحاول إيران، من الناحية الأخرى، أن تحمي نظامها من خطر التغيير - سواء من خلال المعارضة الداخلية بتحريض من الولايات المتّحدة أو عبر هجوم أمريكي-. وباعتبار أن العراق لم يعد قوة مهددة، وأن سوريا انحنت أمام الضغط الأمريكي وانغماس العربية السعودية في المشاكل الداخلية والخارجية، فإن بإمكان إيران العمل مع أمريكا لتؤكد نفسها في النهاية قوة إقليمية في الخليج أو حتى في منطقة "الشرق الأوسط" خاضعة لإشراف الولايات المتحدة.

ويبدو أن بيكر، مستشار كبير في مجموعة كارليل -Carlyle Group - (شركة محاماة خاصة مقرها في أمريكا وتحظى بعلاقات الشاملة مؤثرة مع العائلة المالكة السعودية)، هو أفضل مفاوض في ترسانة أمريكا الدبلوماسية. عنده سجل "نجاحات" في المفاوضات الدولية، من خلال التدخل في قضايا دولية مثل حل الإتحاد السوفيتي وتشكيل تحالف ضد العراق في حرب الخليج الثانية. وعلى أية حال، إدارة بوش قد تكون راغبة للسماح لإيران بلعب دور أكبر في إعادة البناء السياسي للعراق، مقابل ضمانه بأن المصالح الأمريكية لن تهدد.

وفي النهاية، فإن واشنطن وطهران يمكن أن يتوصلا إلى اتفاق سري: تشكل الولايات المتحدة حكومة ذات غالبية شيعية في العراق التي تتخذ إجراءات صارمة ضد حركة المقاومة، مقابل تعاون إيران بسرية مع أمريكا ضد القاعدة وضبط وتيرة برنامجها النووي. وهذا لا يتطلب تصريحات وضوضاء إعلامية، وهذا لن ينجز بسهولة.